وشجعت الفدائيين الفلسطينيين على الانطلاق من أرضها في اوقات كثيرة، انطلاقاً من مبدأ «ان سوريا لا يمكن ان تسهم في الحفاظ على أمن اسرائيل». الا ان هذا الموقف ظل مرتبطاً، إلى حد بعيد، بالاعتبارات الاكبر للسياسة السورية. هذه الاعتبارات جعلت السماح للعمل الفدائي من الاراضي السورية مرهوناً بعدم التورط في حرب شاملة خاسرة ضد اسرائيل، وبمقتضيات المساومة والضغوط ضد اسرائيل وحلفائها، فضلاً عن دخول العنصر الفلسطيني ضمن عناصر الصراع الداخلي على السلطة هناك، خاصة مع حرص الدولة السورية على انشاء ورعاية المنظمات الفلسطينية المرتبطة بها.

ويظهر استعراض العقود الاربعة التي مضت على اقامة الكيان الصهيوني، منذ العام ١٩٤٨ حتى اليوم، ان كلاً من تلك العقود شهد فترة مميزة في علاقة النظام السوري باسرائيل. فمنذ توقيع اتفاقيات الهدنة العام ١٩٤٩ وحتى ١٩٥٨، كانت العلاقة تتركز في المناوشات الضيقة، ولكن المستمرة، بين الطرفين على جانبي الحدود وبخصوص قضايا المياه في ظل اتفاقية الهدنة. أما الفترة من ١٩٥٨ إلى ١٩٦٧، فقد شهدت السلوك السوري ازاء الكيان الصهيوني من خلال العمل العربي الاوسع، او بالتوازي معه (الوحدة المصرية ـ السورية ١٩٥٨ ـ ١٩٦١)، ومباحثات الوحدة الثلاثية مع مصر والعراق (١٩٦٣)، ثم مؤتمرات القمة العربية (١٩٦٤ ـ ١٩٦٥). وكان العنوان الرئيس الذي دار تحته العمل في تلك الفترة هو «تحويل مجرى نهر الأردن» باعتبار ان سوريا، بمفردها، ليس بامكانها الوقوف امام المطامع الاسرائيلية. وبعد الهدوء النسبي الذي ساد الحدود السورية ـ الاسرائيلية في زمن الوحدة، كان التحويل هو السبب المباشر الذي دعا الرئيس عبدالناصر للدعوة إلى مؤتمر القمة العربي الأول. وجسدت قضية تحويل نهر الاردن، والقرارات التي اتخذت بشأنها، والاخفاق شبه الكامل في تطبيق تلك القرارات، حقيقة العجز الذي عانت منه الانظمة العربية في مواجهة اسرائيل.

على انه بقيام حرب العام ١٩٦٧، لم تحسم، فقط، مشكلة تحويل مياه الأردن لصالح اسرائيل، وانما خلقت، أيضاً، المشكلة التي اصبحت، منذ ذلك الوقت فصاعداً، محوراً سياسياً في السلوك السوري تجاه الكيان الصهيوني، أي الاحتلال الاسرائيلي لمرتفعات الجولان. ولم تسفر حرب تشرين الاول (أكتوبر) ١٩٧٣، عن تغيير الوضع في الجولان. وبعد توقيع اتفاق فك الاشتباك على الجبهة السورية في أيار (مايو) ١٩٧٤، شهدت تلك الجبهة هدوءاً كاملاً، لم يعكره، في العام ١٩٨١، اعلان الحكومة الاسرائيلية ضم الجولان. على ان موقف النظام السوري من الكيان الصهيوني، ابتداء من العام ١٩٧٦، انطبع (وحتى الآن) بتطورات الحرب الاهلية اللبنانية والتدخل السوري فيها اكثر من أي شيء آخر. ولأن زيارة السادات إلى القدس تمت بعد ذلك بعام (أي في ١٩٧٧)، فان تلك الظروف كلها (أي الحرب اللبنانية، وخروج مصر من المواجهة)، وضعت النظام السوري في ظروف قاسية جعلت من الصعب، اكثر من أي وقت آخر، المواءمة بين الشعارات المعلنة حول القضية الفلسطينية والموقف المتشدد من اسرائيل، وبين مقتضيات الحفاظ على أمن الدولة السورية ازاء التفوق العسكري الاسرائيلي، ومقتضيات الحفاظ على النفوذ السوري في لبنان. وكانت اكثر التطورات دلالة في هذا السياق هي المواجهات المريرة التي تمت بين النظام السوري والوجود الفدائي الفلسطيني في لبنان بزعامة منظمة التحرير الفلسطينية. ثم كانت التضحية